اجتهادات

لا دراما .. ولا تاريخ!

كلاكيت 100 مرة. يصعب إحصاء كم مرةٍ حدثت فيها أزمةُ بسبب فيلمٍ سينمائى أو مسلسلٍ تليفزيونى عن شخصيةٍ تاريخية. والاشتباكُ اللفظىُ, الذى بدأ فى العراق، بعد الإعلان عن مسلسل معاوية الذى سيُعرضُ فى رمضان المقبل، ليس الأول من نوعه، ولن يكون الأخير. فالمناعةُ قويةٌ ضد إدراك أن العمل الدرامى ليس تاريخًا ولا توثيقًا0 مناعةُ فى أوساط الجمهور وصانعى الدراما على حد السواء. الخلطُ بين الدراما والتاريخ منتشر، والمناعةُ ضد الخلاص منه بين ضعيفةٍ ومعدومة. الاعتقادُ الشائعُ أن ما يُشاهدُ فى عملٍ درامى إنما هو ما حدث فعلاً فى التاريخ. ويسهمُ كثيرُ من صانعى الدراما فى هذا الخلط عندما يغفلون طبيعة العمل الذى يصنعونه. الدراما التاريخية عملُ فنى وليست تأريخًا. عملُ يُعادُ فيه إنتاجُ لقطةٍ من التاريخ اعتمادًا على مزيجٍ من الخيال المبدع ووقائع حدثت، أو يُعتقدُ أنها حدثت. الخيالُ هو الأساسُ فى العمل الدرامى0 خيالُ يرتبطُ برؤيةٍ يُفترضُ أن تكون جديدةً. وفى غياب هذه الرؤية لا توجد دراما، بل مسخ لا هو عملُ درامى ولا عملُ توثيقى. الرؤية هى ما يُمكَّن من صناعة عدة أعمالٍ درامية عن شخصٍ واحد، دون أن يشبه أىُ منها الآخر. عددُ كبيرُ من الأعمال صُنع عن شخصيات مثل هتلر، وتشرشل، وغيرهما. واختلافُ الرؤية ونوعُ الخيال هما ما يُعطى كلاً منها قيمته. وعندما تتوافرُ الرؤية لدى صانع العمل، يشرعُ فيه وهو يعرفُ ما الذى يريدُ أن يصنعه، وكيف سيعبرُ عنه باستخدام أدواته الفنية ومهاراته الإبداعية. ولهذا يثيرُ الأسى أن نجد فى نهاية تيتر عملٍ درامى أو آخر أنه عُرض على من قام بتدقيقه من الناحية التاريخية. العملُ الدرامى ليس بحثًا تاريخيًا، بل إبداع

فنى موضوعه شخص أو حدث معين يُرادُ تقديمُه بطريقةٍ جديدةٍ مبدعة. وهو لا يُقَّيم بمعايير الدراسة التاريخية، بل بمقاييس الأعمال الفنية. وعندما يُجيد صانعوه، فلأنهم يُقّدمون عملاً جميلاً، وليس لأن عملهم دقيق. ومادام الخلطُ بينِ الدراما والتاريخ مستمرًا، فستبقى بعض الدراما التاريخيةُ العربيةُ بدائيةً.